في الذكرى الحادية عشرة
لانطلاقة الجبهة الشعبية:

تعزيز التحالف الاستراتيجي مع الحركة الوطنية اللبنانية

بقلم عبد الرحيم أحمد
أمين سر جبهة التحرير العربية

مرت قضية فلسطين ، ومعها الوطن العربي ، مصيرا ومستقبلا ، خلال الاشهر الثلاثة الماضية ، بمنعطفات حاسمة من جهة ، وخطرة من جهة اخرى . ويكمن تأثير مسار هذه المنعطفات الحاسمة والخطرة بالتحركين التاليين :

١ - مؤامرة « كامب ديفيد » ، وما تمخضت عنه من اتفاقات سرية وعلنية، وما استتبع تلك المؤامرة ، مثل محادثات بلير هاوس « ومسرحيات » المخاض العسير ، والاخراجات الشديدة الالتواء ، والحادة الانكسار ، التي لا تزال ترافق سحب رأس الجنين الهجين من رحم المؤامرة التصفوية .

٢ - المبادرة العراقية بحلقاتها الثلاث : ادخال الجيش العراقي الى سوريا، تشكيل الصندوق القومي للصمود والتحرير ، وقمة بغداد . وقد جاءت المبادرة العراقية الرد التاريخي المنتظر والمفترض على مؤامرة « كامب ديفيد » نصوصا وعضويا واحتمالات عززها ، وزاد من فاعليتها القمة السورية العراقية التي انتهت بميثاق العمل القومي المشترك ، والتي فتحت مجالات النضال امام القوى الجماهيرية الفاعلة ، بايقاف حالة التداعي في الواقع العربي ، على طريق انتشال هذا الواقع من اجواء التردي والتخبط للعودة الى آفاق العمل الشعبي الوحدوي ، وتوظيفه في خدمة الهدف الاستراتيجي في تحرير فلسطين .

كانت المبادرة العراقية بداية المنعطف ، باتجاه تأكيد الحضور التاريخي للثورة العربية الهجومية من جهة ومؤشر الرد الذي غابت معطياته الهجومية في ظل النجمة التصفوية الشرسة ، من جهة ثانية . وعندما نشير الى غياب او محدودية فعل حركة الثورة العربية المتصاعد ، فاننا نلفت الى ان هذا الغياب وتلك المحدودية كانا مؤقتين وكان مفروضا عليه ان يزول ، عند اول صدمة صارخة يتعرض لها الوطن العربي ، وهي الصدمة التي احدثتها مؤامرة «كامب ديفيد » .

واذا عن لمشكك ان يتساءل عن « تاريخية » الثورة العربية في ظل هجمة معادية مثل الهجمة التصفوية ، وهم كثيرون ، فان جهل هذا المشكك بسيرورة الثورات كاف للرد عليه ، كما ان اي عمل ثوري ، او تحرك ثوري ، يكون ثوريا بقدرته على اغتنام الفرص التاريخية ، التي تشكل المفاصل الحساسة والمصيرية في مسيرة تقدم الانسانية ، وهي على كل فرص نادرة ، تفترض فيمن يغتنمها ان يكن ذا حس نضالي مرهف ، وذا قدرة تحليلية متقدمة .

ومع ان الصدمة المترتبة على مؤامرة « كامب ديفيد » كانت الشكل الذي اعاد للثورة العربية سيطرتها على خطها التاريخي المتصاعد ، فانها ما كانت لتكون كذلك لولا الارهاصات الجنينية التي بقيت الثورة العربية محافظة عليها، متمسكة بها بكل قوة خلال الامتداد التآمري ، والاتساع في حالة التردي على مسطح الواقع العربي .

فقد حملت فصائل الثورة العربية ، خلال الفترة السابقة لكامب ديفيد ، والتي احرزت فيها المؤامرة التصفوية مراكز متقدمة على قشرة الوضع العربي، كل اسباب قدرتها على التصدي لهذه المؤامرة ، وكل معطيات دحر المؤامرة ، لتطلقها في اللحظة التاريخية المناسبة ، على طريق عودتها الى دائرة الفعل والتأثير في الواقع العربي .

لقد حملت الثورة العربية اسباب قدرتها ومعطيات دحر المؤامرة ، مع ان كل القوى المعادية للامة العربية كانت ترى في انتصاراتها المؤقتة انتصارات استراتيجية . لانها لم تكن قادرة على اكتشاف القوة الكامنة في الجماهير العربية، ولانها غير قادرة في الاساس على الخوض في عملية الاكتشاف هذه ، ربما بسبب طبيعتها المعادية ، وربما بسبب غربتها عن روح الجماهير وقدرتها الكامنة هذه ، ربما للسببين معا .

ولو ان الساحة الفلسطينية بقيت بمنأى عن تأثيرات التداعي والتردي ، ولم تصبح ساحة اساسية لمظاهرهما التي كانت تفعل في الواقع العربي ، لكانت القوى المعادية بقيت في حالة حصار فعال ، ولكن مقتل فصائل الثورة العربيه التي تصدت للمؤامرة التصفوية كان غرقا للساحة الفلسطينيةباستثناء جزر محدودة في حماة الترتيبات الاستسلامية وقد اخذ هذا الفرق تعبيرات سياسية وتعبوية متعارضة في جوهرها مع جوهر القضية الفلسطينية ومغايرة في غاياتها لاهداف الثورة الفلسطينية ، والمتعارضة في اساليبها مع اساليب العمل النضالي عامة ، واساليب العمل النضالي على ساحة فلسطين خاصة .

هذه التعبيرات السياسية والتعبوية وضعت القوى الوطنية والديمقراطية، والتنظيمات الاكثر جذرية ، على الساحة الفلسطينية امام مهام وقضايا نضالية ، ذات طابع دفاعي صبغت تحرك هذه القوى بكل سلبيات النهج الدفاعي في النضال . ويمكن ايجاز تلك القضايا والمهام النضالية على النحو التالي .

- التقليل من مخاطر النهج الاستسلامي على قضية فلسطين والمحافظة عليها ، وعلى جوهرها وطبيعتها التحررية .

- التصدي ، وهو كان فعالا ، لمخاطر النهج الاستسلامي الى حد كبير على الساحة الفلسطينية ، وارباك الرموز التي كانت تلتزم به .

- المحافظة على قوة الجماهير الفلسطينية خصوصا ، والعربية عموما ، ولو في حالة كونها ، للحظة التاريخية المناسبة .

وقد عبرت القوى الديمقراطية الوطنية ، والتنظيمات الاكثر جذرية عن هذه المهام والقضايا النضالية تعبيرات ، استطاع معظمها ان يرقى الى مستوى المجانسة بين الاسلوب والغاية ، دون ان يعني ذلك ان كل تعبيرات تلك القوى كانت حاسمة الى الحد الذي تحقق منه القوى الرافضة في الساحة الفلسطينية غاية اهدافها .

رغم قساوة الظروف التي احاطت بقضية فلسطين وثورتها ، خاصة بعد حرب تشرين ، فان الكم الكبير من هذه المهام والقضايا النضالية كان قد انجز وتم تثبيته عاملا اساسيا في خريطة الواقع السياسي على الصعيد الفلسطيني، وجاءت نتائج « كمب ديفيد » باطارها الاستسلامي ومضمونها التصفوي ، واحتمالاتها الخطرة على مستقبل القضايا العربية بشكل شامل لتنقل هذه المهام النضالية والقضايا الوطنية الفلسطينية ، من طور هموم قوى معينة ، الى طور الاهتمامات الجماهيرية العريضة ، وتحولت توجها عميق الغور في نفوس وعقول وضمائر الجماهير العربية بشكل عام .

اذن لم يعد التصدي للنهج الاستسلامي ونفي مخاطره على قضية فلسطين والمحافظة على الطابع التحرري لهذه القضية القومية مهمة القوى الرافضة على الساحة الفلسطينية والقوى القومية التقدمية على الساحة العربية ، بل اصبحت مهاما نضالية ملقاة على عاتق الحركة الجماهيرية بمعناها الواسع والعريض ، بعد ان تكرست مبادىء ثابتة غير قابلة للقسمة والاختزال في برنامج القوى الوطنية والقومية الديمقراطية والتقدمية ومناهجها النضالية والتعبوية .

هذا الكلام قد يقود ، عند البعض الى استنتاج مؤداه ان المؤامرة التصفوية قد حققت اغراضها ، او هي اكتفت مكتفية بما حققت ، بعد مؤامرة كمب ديفيد ومسرحية « بلير هاوس » ولكن الحقيقة هي عكس ذلك . فالقوى المتآمرة لن تراح الا اذا كان عملها المضاد للحركة الثورية العربية متواصلا ، انطلاقا من التخريب على ثورة فلسطين ، لما تحتله هذه الثورة في حسابات الامبريالية والصهاينة والرجعيين والمرتدين من عامل حاسم ، ومحرك نضالي وحافز تحرري ، في مسيرة الثورة العربية .

وكما تقيم فصائل الثورة العربية معظم حساباتها على اساس حل التناقض القومي في فلسطين لصالح تقدم الامة العربية ، وبالتالي تعطي قضية فلسطين المركز الاول من قضاياها النضالية، فان الامبريالية والصهيونية وادواتهم العربية بما هم عليه من عداء مطلق لمسيرة التقدم القومية العربية، ينطلقون من ضرورة حل قضية فلسطين حلا تصفويا ، يسهل تمرير كافة مخططاتهم المعادية لاهداف الثورة العربية في الوحدة والديمقراطية والتقدم الاجتماعي والمجتمعي .

هذه الحقيقة القائمة على الاهمية القصوى لقضية فلسطين ، في حسابات قوى الثورة العربية وفي حسابات اعداء القضية القومية العربية ، تعني ، قوى الثورة فلسطين يجب ان تكون على المستوى التاريخي والنضالي والمصيري الذي لقضية فلسطين ، اي ان تكون « فدائية الاسلوب » ، عربية التركيب ، ثورية التفكير ، علمية المنهج .

واذا كنا نعيد التأكيد على اوليات ومبادىء الثورة الفلسطينية ، فلأن المرحلة السابقة من عمرها ، والتي اعقبت حرب تشرين وانتهت موضوعيا بمؤامرة كمب ديفيد ، شهدت الكثير من التزييف والتضليل ، والتعمية لهذه الاوليات والمبادىء ، تارة بأسم التكتيك ، وطورا بأسم المرحلية مع العلم ان كل هذه الارتكابات كانت تصب بكل استراتيجية سوى استراتيجية حربالتحرير الشعبية لكل الارض المحتلة .

ان انتهاء مرحلة ما بعد حرب تشرين موضوعيا بمؤامرة « كمب ديفيد » على صعيد منظمة التحرير الفلسطينية ، يعني اننا اصبحنا امام مرحلة جديدة ، اصدق واصبح ما يطلق عليها تعبير « مرحلة التأسيس من جديد » ، ولكي يكون التأسيس جديدا وجديا في الوقت نفسه يجب ان ينطلق من الاساسيات فيكرسها ، ومن الماضي فينقده نقدا بناء ، ويستفيد من دروسه وعبره . ومن الحاضر ، فيدرس توجهاته الفاعلة والحية والمؤثرة ، ليرسم بالاستناد الى تلك الدراسة استراتيجيته القادرة على انجاز مهام وقضايا ثورة فلسطين ، بمعناها التاريخي ، بعيدا عن الدوغمائية « الثورية » وبعيدا عن التكتيكية المتساهلة او التشنج الاستراتيجي .

نحن على ابواب مرحلة تجديد التأسيس للثورة الفلسطينية ، بكل ما يعنيه هذا التعبير من امانة لقضية فلسطين ، ومن اخلاص لثورة فلسطين ، ومن تكريم وتمجيد لشهداء المقاومة الفلسطينية ، اي اننا نلتزم التزاما كليا بايجابيات الفترة السابقة من عمر العمل الفدائي ، ونؤكد على تلك الايجابيات، كما اننا نرفض ان يستمر شيء من سلبيات تلك الفترة بقوة التواصل والوجود ، او لموقف ذاتي ذي خلفيات نابعة من مرحلة ما بعد حرب تشرين .

وقد نتج عن التحركات السياسية التي شهدتها قضية فلسطين والوطن العربي ، خلال الاشهر الثلاثة الماضية ، حدان للتحرك المستقبلي في اطار قضية فلسطين ، هذان الحدان هما :

١ - الخط المستسلم التصفوي المتمثل باتفاقات « كمب ديفيد » ومحادثات « بلير هاوس » لتفصيل الاسس الاستسلامية .

٢ - الخط المتصادم مع نهج التسوية الاستسلامية التصفوية المتمثل باللقاء بين سوريا والعراق وميثاق العمل القومي المشترك بين هذين القطرين ، ومحادثات اللجان الفرعية المنبثقة عن اللجنة المشتركة العليا ، لتفصيل اسس العمل الوحدوي بين القطرين ، تصديا مع مترتبات كمب ديفيد على طريق مواصلة النضال ، حتى دحر التسوية الاستسلامية نهائيا ، وبعد انجاز مستلزمات التحرير المركزية .

وبين هذين الحدين ، المتميزين ، الواضحي التباين ، المتناقضين تناقضا مصيريا ، تسير كل القوى في الوطن العربي ، اذ يجب ان تسير ، هكذا يقول منطق التطورات والتصورات .

واذا كانت قمة بغداد قد غلبت الخط الممثل لطموحات الجماهير العربية ، والى حد ملحوظ ، باتفاق جميع المراقبين الدبلوماسيين ، والمحللين السياسيين، فقد كان ذلك نتيجة ملحوظة للقاء بين سوريا والعراق ، الذي تتوج بميثاق العمل القومي المشترك بين القطرين ، وهو الميثاق الذي لقي ترحيبا عارما من الجماهير العربية العريضة ، ومن قواها الوطنية والقومية الديمقراطية والتقدمية، على حداء سواء .

كما ان ميثاق العمل القومي المشترك بين العراق وسوريا ، والنوايا الحسنة في دفع منطوقه الى ساحة العمل المباشر ، وتجسيد مضمونه بخطوات تفصيلية، كلها امور تشير الى ان التصادم مع نتائج كامب ديفيد ، لم يعد في اطار الامنيات والخطابات والحملات التعبوية ، وانما اصبح في بداية طريق النتائج المباشرة والفاعلة .

وبذلك فان تعزيز الافاق المستقبلية لقضية فلسطين بأبعادها التحررية والنضالية والحضارية والتاريخية ، قد يصبح امرا اكيدا في المدى المنظور على ضوء ما تقدمه فصائل المقاومة الفلسطينية عموما ، وفصائل جبهةالرفض خصوصا من انجازات نضالية ، على الساحة الفلسطينية ، تعطي مرحلة تجديد التأسيس انطلاقا من حدي حركة فلسطين الراهنين مضامين وطنية وثورية ، خاصة ان مؤامرة كمب ديفيد وضعت كثيرا من المهام النضالية التي كانت سابقا مدفوعة الى الامام بحكم الواقع . في الواجهة والمقدمة من مهام ثورة فلسطين .

ويأتي في رأس هذه المهام انجاز الوحدة الوطنية بين فصائل الثورة الفلسطينية ، على اسس وطنية صحيحة ، وانطلاقا من مبادىء ثورية سليمة بهدف امساك بداية الطريق لاستراتيجية حرب الشعب حتى التحرير ، وعلى ضوء التجارب الوحدوية السابقة بين فصائل المقاومة ، التي كانت تتعثر ، او تتلاشى ، مع اول اندفاعة سياسية لم تكن ملحوظة في برامج الحد الادنى . اساس تلك التجارب ، فان ايجاد الصيغ والتشكيلات التي تكفل ديمومة الوحدة الوطنية ، كاطار سياسي ، وطريق نضالي وتعبير تنظيمي عن وحدة الهدف ، رغم تعددية المناهج الفكرية عند فصائل المقاومة ، يظل مقياسا مبدئيا لمدى استفادة جميع قوى الثورة الفلسطينية من دروس الماضي وتجارب الشعوب التاريخية .

وأن كان ضمان ديمومة منطق الوحدة الوطنية مهمة نضالية مترتبة بالحاح عن مؤامرة كامب ديفيد ، فان مقاومة التوطين ، وضرب كل الفرص التي قد تقود الى هذا الهدف التصفوي لا يقلان الحاحا عن انجاز الوحدة الوطنية المتصادمة مع كل المؤامرات التصفوية والمناهج الاستسلامية .

واذا كان التوطين بحد ذاته جانبا اساسيا من جوانب المؤامرة التصفوية فان استمرار بعض التوجهات السياسية للفترة السابقة في الفترة الراهنة والمستقبلية من عمر العمل الفدائي ، سيكون عونا لهذا الهدف التصفوي .

وقد جاءت فكرة الحكم الذاتي بمفاهيمها الثلاثة : المفهوم الاميركي والمفهوم الصهيوني والمفهوم الساداتي ، لتضع فصائل العمل الفدائي امام مهمتين محددتين وملحتين ، هما رفض التوطين ومحاربة فكرة الحكم الذاتي ، الوجه الاخر لفكرة التوطين .

ان هاتين المهمتين : رفض التوطين ومحاربة الحكم الذاتي ، تضعان على عاتق الثورة الفلسطينية مهمات تفصيلية ، كانت قائمة في نضال فصائل المقاومة في مرحلة ما قبل « كامب ديفيد » ، مثل تعزيز التحالف الاستراتيجي مع الحركة الوطنية اللبنانية ، ودعم الخط النضالي للقوى الوطنية اللبنانية العريضة ، ومثل تدعيم اسباب الصمود وتعزيز مرتكزات النضال لعرب الارض المحتلة في وجه الاحتلال وصهينة ارض فلسطين ... والانتقال بهذه المهام الى درجة متقدمة من العمل الكفاحي والخطط النضالية ، تتجاوز ما كان قائما قبل مؤامرة « كامب ديفيد » ، وتعزز تلك المهام .

لقد قام ميثاق العمل القومي المشترك بين العراق وسوريا ، بوضع المداميك الاولى في ترسانة التصدي لنتائج « كامب ديفيد » ، على طريق الانتقال من هذا الهدف النضالي الى هدف نضالي اخر يؤكد الحضور الهجومي للثورة العربية على طريق انجاز اهدافها ، وبقي ان تقوم فصائل المقاومة الفلسطينية في دورها على هذا الطريق المتصاعد ، وذلك بوضع كل الصيغ ، وانجاز كل المهام النضالية ، التي تؤكد تجانس المقاومة الفلسطينية ككل مع قضية فلسطين ، الى حد اعطاء ملامح مرحلة تجديد التأسيس مضامينها الثورية الحقيقية والفاعلة .

■